قيصر الجميل شاعر الطبيعة والجسد

في معرض حديثه عن داود القرم قال قيصر الجميل ان «عروة الزر» التي تناولها مصطفى فروخ في انطباعية الفن اللبناني استرعت انتباه داود القرم (قبله) فاشتغلها بالعاطفة نفسها، أو بمقدار الحب الذي يشتغل به اهداب العيون والشفاه...

هذه «العروة» التي احكم اتزانها وخلقها داود القرم، هل زادها اتزاناً وخلقاً قيصر الجميل في عارياته، وبالذات مع موديله المفضل مريم؟ أم ان هذه «العروة» التي اكمل تناسقها وانسجامها، في ما بعد، المثّال يوسف الحويك وجبران خليل جبران جاء «الفن الحديث» ليزيدها تجريداً مع صليبا الدويهي تلميذ حبيب سرور الانطباعي في اخضاع «الفريسك» للفن الماروني والحاقه بمدرسة روما التي أثّرت في الرعيل الاول من القرم الى مكاروف فاضل فنجيب البخعازي فالجميل.

إن «عروة زر» الانطباعيين اللبنانيين وفي مقدمهم قيصر الجميل، خضعت لدراسة الوجه وتشريح الجسد، مع النظر الى الطبيعة من زاوية مشهدية ملونة تركت للشجرة شكلها المنظور، وللنبتة اطارها الاخضر، وللضيعة اللبنانية قرميدها الاحمر وحجرها الاصفر غلقاً وقنطرة (الانسي، فروخ...) وكأن سمفونية انغام متكاملة تركت الحانها في المرئي والواقعي والخيالي والضبابي (جبران خليل جبران) لتكمل من وقع الرومنسية الشعرية وتزيدها ترميزاً في معنى الميثولوجيات (الفن الفينيقي، محاولات رئيف شدودي اليتيمة في الميثولوجيات) وما مثلته حقب الماهدين مجتمعة من محاكاة لمدارس الغرب وبالذات رفائيل، مايكل انجلو، رودان ورينوار.

قد يكون قيصر الجميل خلاصة هذه التأثرات جميعاً مع صليبا الدويهي. لانهما ذهبا الى الاعتناء بالفن الكنسي وتكامل رؤيته الليتورجية. فللجميل اكثر من زيتية تمثل الطقس الماروني، في كنيسة السيدة الكبرى / بيت الشباب. وهناك محفورة من الخشب تمثل الـ بيتا La Pietà تحت المذبح الرئيسي في هذه الكنيسة، اعطاها الجميل صنعته وتأثره بالثقافة الفنية الايطالية، وربما هي المحفورة الخشبية المتينة والواضحة تمثله خير تمثيل كمثّال على الطريقة الايطالية.

وهناك ايضاً للدويهي ما هو شاهد عليه في كنائس لبنان جميعاً (وبالذات مار شربل عنايا).

في بداية حياته، تأثر الجميل (المولود في عين التفاحة، المتن الشمالي ١٨٩٨) باستاذه خليل الصليبي. ثم درس طوال ثلاث سنوات في اكاديمية جوليان الباريسية من ١٩٢٧ الى ١٩٣٠ حيث التقى عمر الانسي، تلميذ الصليبي، فتأثر بجو باريس وضبابها الكثيف الرمادي. واثر عودته الى لبنان انعكست الالوان الداكنة على اعماله، وحاول في انشائه لاول فرع فني للتصوير والنحت في الاكاديمية اللبنانية لمؤسسها الكسي بطرس ان يحرر الفن من تقليديته. فاكتشف مواهب ووجّه وقاد عدداً من الفنانين المعاصرين. وان اجرأ ما قام به الجميل في اكاديمية بطرس اطلاق فكرة المرأة – الموديل، فكانت مريم.

ومريم التي رسمها الجميل في اكثر من عمل جلست امامه باوضاع مختلفة، وهي ترتدي ملابسها الكاملة. رسمها في لوحات كبيرة وصغيرة. رسم وجهها وكل ذلك مقابل قروش قليلة:

«كنت سعيدة جداً في جو الشيخ قيصر. كان مليئاً بالفرح والسعادة وكان مختلفاً عن جو الفقر والضباب والتعاسة الذي كنت اعيشه في منزلي».

وسرعان ما تخلت مريم عن ملابسها وبدأت مريم / الموديل تخرِّج فنانين من خطوط جسدها وتعلمهم من خلال جلوسها الى الشيخ قيصر طريقة تشريح الجسم وفهم خطوطه بالرسم لا بالعري.

كان الجميل كلاسيكياً شأنه شأن الاوائل. فضل اللون على الشكل وتلاعب بالنور كالمدرسة الباريسية. لكنه اكتفى باكتشاف طبيعته هو لا الطبيعة المنظورة امامه.

انتخب اول رئيس لجمعية الفنانين اللبنانيين للرسم والنحت عام ١٩٥٧ وكان سمفونية الوان ايقاعية. سكن الطبيعة اللبنانية ليعيد تفجيرها كشخصيته التي كان يحيطها دائماً بهالة من المسرح العابث البريء، مغلفاً روحه الشاعرة بالكآبة المتألمة.

صليبا الدويهي (١٩١٢ –): ولد صليبا الدويهي في اهدن. بدأ الفن في مشغل حبيب سرور طوال اربع سنوات. قدمت له الحكومة اللبنانية منحة مما اتاح له دخول المدرسة الوطنية العالية للفنون الجميلة في باريس من ١٩٣٢ الى ١٩٣٦. سافر الى روما وعاد الى لبنان حيث امضى اربع سنوات في ربوعه يرسم ويجمِّل حيطان وسقف كنيسة الديمان. توجه الى اميركا عام ١٩٥٠ ومكث هناك حتى العام ١٩٧٥.

شارك الدويهي في معارض جماعية: قاعة الفنانين الفرنسيين في باريس عام ١٩٣٤، معرض نيويورك العالمي قاعة الحقائق الجديدة في باريس، اكاديمية بنسلفانيا للفنون الجميلة وغاليري الجامعة الفنية في نيويورك.

معارضه الخاصة اقيمت في الصالات المعاصرة في مدينة نيويورك، متحف كارولينا الشمالية للفن، مركز العلوم والفنون في نيو هامشاير، غاليري أرجيل في لندن (١٩٨٨).

حاز الدويهي على عدة جوائز واوسمة: وسام الارز الوطني اللبناني (١٩٦٥)، جائزة اكاديمية فيلادلفيا للفنون الجميلة (١٩٦٨)، والميدالية الذهبية لأكاديمية ايطاليا للفن والعمل (١٩٨٠). (مراجعة الصفحة ٥٤)

رشيد وهبي (١٩١٧ –): ولد رشيد وهبي ابن معلم المدرسة في بيروت عام ١٩١٧ وشب على حب الرسم. كان يرسم العصافير والاشجار وصور زملائه في المدرسة وكان اساتذته يتابعون اعماله باستمرار. لم يكتفِ وهبي بهذا بل راح يرسم صور المشاهير من اهل الفن والتاريخ امثال جبران خليل جبران ويوسف كرم وغيرهما. وفي العام ١٩٣١ اقام اول معرض له في مدرسة الفن والاشغال في مدينة بيروت.

بعد هذا المعرض بسنة واحدة انضم الى محترف حبيب سرور وعمل عنده حتى ١٩٣٧. غادر لبنان الى القاهرة عام ١٩٤١ ليدرس هناك فن التصوير والمسرح والموسيقى طول خمس سنوات. (مراجعة الصفحة ٥٦)

قيصر الجميّل (١٨٩٨–١٩٥٨): ولد قيصر الجميّل في عين التفاحة (المتن الشمالي) موهبته الفنية لم تغب عن خليل الصليبي، فهذا الاستاذ الخلوق والموهوب حضنه وعلمه الرسم في محترفه في بيروت. كانت عائلة الجميّل تملك صيدلية. لذلك بدأ بدراسة علم الصيدلة على امل العمل فيها. يحكى عنه أنه لم يتورع عن العمل في تصليح الطرقات والكسّارات ليتثنى له دفع مصاريف الدراسة. لكن حبّه للفن طغى على كل شيء فأقلع عن دراسة علم الصيدلة وكرّس حياته للرسم وتعليم الفن. سافر الى باريس عام ١٩٢٧ لتكملة دراسته في اكاديمية «جوليان» فامضى ثلاث سنوات يعمل بأشراف «جان–بيار لورنس» و «بوغيون».